بسم الله الرحمن الرحيم

التّجديد في النّظام المعرفي للفكر الكلاميّ المعاصر عند الامامية

www.ketab.ir

الدكتور رزّاق حسين فرهود العرباويّ الموسويّ

سرشناسه عرباوي الموسوي، رزّاق‌حسين‌فرهود.
عنوان و نام پديدآور التّجديد في‌النّظام‌المعرفي للفكرالكلامي‌المعاصر عندالامامية / رزّاق‌حسين‌فرهود العرباوي‌الموسوي.
مشخصات نشر مشهد: مجمع البحوث الإسلامية، ١٤٣٨ ق.= ١٣٩٦.
مشخصات ظاهری ٦١٠ ص. ISB 978-600-06-0139-3
وضعيت فهرست‌نويسی فيپا.
يادداشت كتابنامه به صورت زيرنويس.
يادداشت عربي.
موضوع كلام شيعه اماميه.
موضوع بنياد پژوهشهای اسلامی.
رده بندی ديويی ٢٩٧ / ٤١٧٢
رده بندی كنگره BP ٢١١ / ٥ / ٣٢٥ع ٣ ت ١٣٩٠
شماره كتابشناسی ملی ٤٥٩٧٦٠٧

التّجديد في‌النّظام‌المعرفي للفكرالكلامي‌المعاصر عندالامامية

الدكتور **رزّاق‌حسين‌فرهود العرباوي‌الموسوي**

الطبعة الأولى: ١٤٣٨ق / ١٣٩٦ش
٥٠٠ نسخة ـ وزيري/ الثمن: ٢٨٠٠٠٠ ريال إيرانيّ
الطباعة: مؤسّسة الطّبع والنشر التّابعة للآستانة الرضويّة المقدّسة

مجمع البحوث الإسلاميّة، ص.ب ٣٦٦-٩١٧٣٥
هاتف و فاكس وحدة المبيعات في مجمع البحوث الإسلاميّة: ٣٢٢٣٠٨٠٣
معارض بيع كتب مجمع البحوث الإسلاميّة، (مشهد) ٣٢٢٣٣٩٢٣، (قم)٣٧٧٣٣٠٢٩
www.islamic-rf.ir info @islamic-rf.ir

حقوق الطبع محفوظة للناشر

www.ketab.ir

المقدّمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الواحد الأحد الفرد الصمد، الذي لم يتخذ صاحبة وجلّ عن وجود الولد، ولم يكن له كفواً أحد. ثمّ الصلاة وأتمّ التسليم على من اصطفاه العليم رحمة للعالمين على مرّ السنين، إذ جعله مدينة العلم في كلّ الميادين، وعلى آله الطهر الغرّ النجباء، الذين خصّهم الباري بفضل نعمائه والآلاء، ليكونوا هم لا سواهم أبواباً لمدينة المصطفى العلياء ليفيضوا على الإنسانيّة جمعاء ما يحتاجونه دنياً وآخرة على السواء، كي ينعموا بالسعادة ويتجنّبوا الشقاء.

وبعد:

إنّ عمليّة البناء المعرفيّ والفكريّ بجميع أبعاده وأسسه وقواعده يمثّل الأرضيّة الصلبة لبناء الإنسان، ويتباين هذا البناء تبعاً لمصادر النظام المعرفي التي يستقي منه الأفراد والمجتمعات، لذا نجد كلّ الأديان والمذاهب والتيّارات والمدارس الفكريّة تسعى جاهدة إلى تقديم مناهجها المعرفيّة الفكريّة إلى أتباعها هدفها من ذلك أن تغذّي أتباعها علماً ومعرفة كي تبني الفرد والمجتمع بصياغة محدّدة يحدّدها النظام المعرفيّ لكلّ من هذه الطوائف التي ذكرناها.

وإنّ تخلّف أيّ مجتمع من المجتمعات الإنسانيّة أوازدهاره يعتمد اعتماداً كلّياً

www.ketab.ir

على النظام المعرفيّ الذي يستقي منه فكره وعقيدته ومن ثمّ ينخرط هذا على خلقه وسلوكه.

من هنا اهتمّت الإنسانيّة منذ عهد ليس بالقريب، بل قبل أن تحدّد بداية لتاريخها، بمصادر وأدوات النظام المعرفيّ، ففلاسفة اليونان قبل أن يولد السيّد المسيح عليه السلام بردح من الزمن تحدّثوا عن ذلك، وكان أرسطو طاليس له الباع الطويل في المنطق الأرسطيّ حيث بحث نظريّة المعرفة بمصادرها وأدواتها، وبقي تنظيره (والذي يعتمد المصدر العقليّ أساس المعرفة عنده بواسطة ثبوت المعلومات القبليّة في العقل والتوالد الموضوعيّ للمعرفة) هو السائد وإن تعرّض إلى نقد كبير من فلاسفة الغرب، وأثّر في العالم المعرفيّ الإسلاميّ بعد أن ترجمت الكتب اليونانيّة في العصر العبّاسيّ الأول، والذي هو السائد أيضاً حتّى جاء السيّد الشهيد الصدر رحمه الله ليأتي بنظام معرفيّ جديد يمثّل وهو التوالد الذاتيّ للمعرفة.

ولا نريد أن نقول إنّ المدرسة الإسلاميّة اعتمادها الأساسيّ في نظامها المعرفيّ على المنهج الأرسطيّ فقط، بل إنّ المدرسة الإسلاميّة تمتاز عن غيرها بالتنوّع والثراء المعرفيّ وذلك لتعدّد مصادرها المعرفيّة وظهور اتّجاهات معرفيّة في تاريخها الفكريّ.

فالرؤية المعرفيّة الإسلاميّة تغذّي العقل وتُفعّله، كما أنّها تراعي دور الحسّ والتجربة، وإنّما تزاوج بين المحسوسات والمعقولات وفق رؤية تختلف فيها عن التجريبيين والحسّيّين في حدود الحسّ والتجربة، ولعلّها تختلف أيضاً وتفترق عن الاتّجاهات العقليّة في مدى دور العقل وطبيعة البديهيّات التي يختزنها، هذا من جهة.

www.ketab.ir

ومن جهة أخرى تعتقد الرؤية الإسلاميّة بمصدر معرفيّ مهمّ وكبير يجعل النظام المعرفيّ الإسلاميّ متميّزاً عن غيره في الثراء والسعة ويمنحه دفعة تفتقدها كلّ الاتّجاهات الوضعيّة، وهو الوحي كمصدر ربّانيّ أوسع من حدود حواسّ وعقل الإنسان يزوّد المسلم بمعرفة معصومة في جذورها، بشريّة في فهمها والتعاطي معها، ومن سنخ الوحي يقوم الإلهام كمصدر معرفيّ يستند إلى تزكية النفس ومجاهدتها في الإعراض عن مغريات الدنيا ومتطلّبات الهوى للوصول إلى مراتب عالية وسامية في السير والسلوك.

وإذ نعيش نحن في زمن إحدى سماته الأساسيّة هو التطوّر والتغيير، فكلّ شيء أضحى يتغيّر ويتبدّل بسرعة فائقة. إلّا أنّه تبقى لكلّ مجتمع ينحدر عن حضارة معيّنة ثوابت ومبادئ، وخصوصاً الأديان السماويّة لها ثوابتها ومبادؤها.

وإنّ خاتم الأديان دين المعرفة والإسلام دين الإنسانيّة كلّما امتدّت أجيالها والأعوام، له ثوابته المعرفيّة الفكريّة والثقافيّة لا يمكن أن يطرأ عليها التغيير، سواء كان على مستوى العقيدة أو على مستوى الأحكام الشرعيّة والعباديّة، و«حلال محمّد ﷺ حلال أبداً إلى يوم القيامة وحرامه حرام أبداً إلى يوم القيامة» كما يقول الإمام الصادق عليه السلام.

إلّا أنّ هذا لا يعني أنّ ديننا ثابت لا يقبل التغيير، بل هو الدين الذي يواكب المسيرة الإنسانيّة كلّما تطوّرت وتغيّرت، يتجدّد في مسائله ومناهجه المعرفيّة لكن ليس على حساب الثوابت. فمنظومة الإسلام المعرفيّة والفكريّة والثقافيّة تقبل التجديد والتغيير، لأنّ النظام المعرفيّ الإسلاميّ، بمعزل عن الوحي قابل للتغيير والتجديد، بل حتّى فهم الوحي قابل للتغيير والتجديد، إذ جعل الله سبحانه في تنزيله القابليّة المعرفيّة المتجدّدة فكلّ جيل ينهل منه بحسب فهمه وإدراكه نتيجة لسعة أفقه والمصادر

www.ketab.ir

المعرفيّة التي تسلّح بها، وكان الأئمّة عليهم السلام يفسّرون لبعض أصحابهم بعض آيات القرآن الكريم بتفاسير متعدّدة مراعين بذلك إدراكهم وفهمهم، هذا في الجيل الواحد فكيف إذا تعاقبت الأجيال.

إلّا أنّ المشكلة تكمن عندما تختلط الأوراق، فتعتبر الثوابت متغيّرات، والمتغيّرات ثوابت، أو عندما نعتقد أنّ كلّ منظوماتنا الفكريّة هي ثوابت، أو أنّها قابلة للتأبيد بأجمعها، عندئذٍ سنقع في ما لا يحمد عقباه، وستعيش الأمّة مأزقاً حرجاً، تتحمّل فيها الويلات مخلّفة وراءها آثاراً وخيمة على أبنائها.

إنّ العالم الذي نعيش فيه عالم تتصارع فيه الأفكار صراعاً قويّاً ومريراً وفي كلّ الميادين، فالغرب وحليفته أمريكا حملاتهم التبشيريّة لا هوادة لها، يصرخون ليلاً ونهاراً بأنّ أفكارهم وأنظمتهم المعرفيّة هي الصالحة للحياة، مفيدين من كلّ الوسائل التقنيّة والتكنلوجيّة والعلميّة التي لديهم، وأهل الإسلام لا يملكون قدرات الغربيّين وحليفتهم من الوسائل التقنيّة والتكنلوجيّة.

إنّ الإسلام في هذا الزمن العصيب بحاجة ماسّة إلى علماء وباحثين ودعاة يتقنون ويحسنون عرض حقائقه العقائديّة وأفكاره ومبادئه وقيمه ومثله بمناهج معرفيّة جديدة وأساليب جذّابة شيّقة ومقنعة ومنطقيّة مع الجمع على أنّها قائمة على البرهان العقليّ والعلميّ وليس على الجدل كما كان في سابق عهدها في كثير من المباحث والمناظرات للأعمّ الأغلب من الفرق الإسلاميّة.

وقد جاءت عدّة محاولات لبعض علماء المسلمين ليقفوا أمام هذه الهجمة الفكريّة الغربيّة الشرسة، ويعرضوا الإسلام باسلوب معرفيّ جديد قادر على سلب مقتضيات الإحباط لدى كثير من المسلمين الذين يراودهم شعور بأنّ الإسلام أصبح عاجزاً عن تقديم مناهج معرفيّة فكريّة جديدة تجعل أتباعه تواكب

www.ketab.ir

مقتضيات الحضارة الغربيّة الجديدة بكلّ معطياتها، محافظين على أصالتهم وهويّتهم، ومن أبرز هؤلاء السيّد جمال الدين الأفغانيّ، ومحمّد عبده، وإقبال اللاهوريّ، والسيّد الشهيد محمّد باقر الصدر، والسيّد محمّد حسين الطباطبائيّ، والشيخ مرتضى المطهّريّ، والشيخ جوادي آملي (رحمهم الله جميعاً) وغيرهم.

ولا شكّ ولا ريب أنّ الذي يحافظ على هويّة وأصالة الأمّة من جهة، ومن جهة أخرى يجعل الأمّة سيّالة في مسيرتها، متجدّدة في عطائها، مفيدة من كلّ منهج معرفيّ، وابتكار علميّ، تفجّره قابليّة الإنسان المعرفيّة التي أودعها الله تعالى في كينونيّته، (هي العقيدة) التي يؤمن بها الإنسان، والعلم الذي يتولّى دراسة هذه العقيدة هو علم الكلام.

وقد تركّزت هذه الدراسة حول هذا العلم وهو علم الكلام بثوبه المعاصر من حيث التجديد في نظامه المعرفيّ عند الإماميّة.

قضيّة البحث

إنّ المشكلة المهمّة والرئيسة التي ركّزت عليها هذه الدراسة هو بيان مظاهر التجديد في الفكر الكلاميّ المعاصر عند الإماميّة، ذلك لأنّ الفكر الكلاميّ الإماميّ يختلف عن الفكر الكلاميّ عند المذاهب الكلاميّة الأُخرى لدى المسلمين، إذ إنّ الفكر الكلاميّ الإماميّ عاش فترة طويلة قرابة المائتين وخمسين سنة، يركّز بناءه ويغذّي أتباعه الأئمّة المعصومون عليهم السلام فلا شكّ أنّ هفواته وكبواته تكون قليلة في زمن غيبة المعصوم مقارنة بغيره، هذا أوّلاً، وثانياً: لا بدّ أن تكون له من المرونة في تقبّل الآخرين والانفتاح عليهم أكثر من غيره، وثالثاً: تجدّده وسيالته في مواكبة تطوّر الإنسان واستحداث المصادر المعرفيّة الجديدة والأساليب الشيّقة في عرضه لعقيدة الإسلام أكثر من غيره كذلك.

www.ketab.ir

لذا ركّزت هذه الدراسة على إظهار المناهج المعرفيّة الجديدة الذي جاء بها علماء ومفكّرو مدرسة الإماميّة في عرض حقائق ومسائل الفكر الكلاميّ المعاصر لدى الإماميّة.

مسوّغات البحث

كانت لدراسة (التجديد في النظام المعرفيّ للفكر الكلاميّ المعاصر عند الإماميّة) من قبل الباحث مسوّغات يمكن إجمالها بالنقاط الآتية:

١. لم يجد الباحث دراسة شاملة في بيان التجديد في النظام المعرفيّ لدى علماء مدرسة الإماميّة وتختصّ بالفكر الكلاميّ المعاصر عند الإماميّة.

٢. لم يجد الباحث دراسة موسّعة دقيقة ركّزت على الفروق الأساسيّة بين الكلام القديم والكلام المعاصر.

٣. إظهار المستوى الكبير لمقبولية علماء مدرسة الإماميّة وكيفيّة فهمهم وعرضهم لعقيدة الإسلام بمنهج معرفيّ جديد لا يستطيع إنكاره خصوم الإسلام، بل إنّ المنصفين منهم يدينون له بالإذعان والتسليم.

٤. إيصال هذا التجديد والابتكار في النظام المعرفيّ للفكر الكلاميّ المعاصر عند الإماميّة إلى المسلمين وغيرهم من خلال تزويد المكتبة الإسلاميّة والإنسانيّة بمثل هذه الدراسة.

أهمّيّة البحث

إنّ دراسة وبحث هذا الموضوع له أهميّة كبيرة إذ تسلّط الضوء على مظاهر التجديد في النظام المعرفيّ للفكر الكلاميّ المعاصر عند الإماميّة كي يتسنّى لنا كيف نعرض حقائق الإسلام العقديّة وغيرها.

www.ketab.ir

خطّة البحث

اقتضت طبيعة البحث أن يقَسّم إلى مقدّمة وتمهيد وخمسة فصول وخاتمة.

أمّا التمهيد فاشتمل على ستّة أمور، فكان الأمر الأوّل منها قد تحدّث عن لمحة موجزة عن التطوّر التاريخيّ لعلم الكلام.

وأمّا الأمر الثاني فقد استعرض فيه الباحث الفروقات بين علم الكلام القديم وعلم الكلام المعاصر، ثمّ أثبت الباحث صحّة تقسيم علم الكلام إلى علم كلام قديم وعلم كلام معاصر. والأمر الثالث كان قد تناول صناعيّة علم الكلام. والأمر الرابع تحدّث عن لغموض في بناء المنظومة المعرفيّة. والأمر الخامس كان قد تناول مبادئ ومباني علم الكلام. وأمّا الأمر السادس كان قد تعرّض فيه الباحث إلى الترابط الوثيق بين أركان العلم الواحد.

وأمّا الفصل الأوّل فكان قد تكفّل بدراسة إمكان المعرفة عقلاً وقرآناً ودرجاتها. وقد اشتمل على أربعة مباحث. كان المبحث الأوّل قد تناول المعنى اللغويّ والاصطلاحيّ للمعرفة والنظام، ثمّ بيّن الموارد التي تختلف المعرفة فيها عن العلم.

وأمّا المبحث الثاني، فقد تكفّل بدراسة إمكان المعرفة والشبهات التي أثارها الشكّاكون في إمكان المعرفة وكيف يتمّ ردّها، وقد تعرّض الباحث فيه لدراسة أركان المعرفة.

وقد كان المبحث الثالث متكفّلاً بدراسة موقف القرآن من إمكان المعرفة، وكيف ينظر القرآن الكريم إلى أهمّيّة العلم والمعرفة، وكيف يحظى العالم بالتكريم والاحترام.

وأمّا المبحث الرابع: فقد تناول الباحث فيه دراسة اليقين وأقسامه، ودرجاته في القرآن الكريم.

www.ketab.ir

وقد أثبت الفصل الأوّل إمكان المعرفة وتحقّقها واليقين بها يقيناً لا يمكن أن يعتريها شكّ وريب.

وأمّا الفصل الثاني، فكان قد تناول دراسة المصدر الأوّل من مصادر المعرفة، وهو المصدر الحسيّ. وقد اشتمل على ثلاثة مباحث.

كان المبحث الأوّل منها قد تناول دراسة المصدر الحسّيّ، وكيف يتمّ إدراك المعرفة من المصدر الحسّيّ.

وأمّا المبحث الثاني فقد تناول دراسة الحواسّ من حيث تكوينها وأقسامها ووظائفها، وما هو موقف القرآن من ذلك؟

وكان المبحث الثالث قد تكفّل بدراسة دور الحواسّ في عمليّة المعرفة وتقويمها عند التجريبيّين، وعند العقليين، وما هي الإشكالات والمؤاخذات على الحسّيّين. ومن ثمّ ما هو الفهم الإسلاميّ لدور الحواسّ في النظام المعرفيّ.

وأمّا الفصل الثالث: فقد تكفّل بدراسة المصدر المعرفيّ العقليّ. وكان قد اشتمل على مباحث ثلاث أيضاً.

الأوّل منها درس العقل لغة واصطلاحاً وأهمّيّته وماهيّته المعرفة القبليّة.

والثاني منها: كان قد تكفّل بدراسة الوجود الذهنيّ من حيث أهمّيّة وتأريخ بحثه وحقيقته، ومن ثمّ بيّن النظريّات في إثباته مع أدلّتها، وما هي الإشكالات على إثبات الوجود الذهنيّ مع ردّها. وتناول كذلك بعد إثبات الوجود الذهنيّ حصول العلم والمعرفة في الذهن، وتقسيمات العلم، ومن ثمّ درس نظريّة اتّحاد العلم والعالم والمعلوم أو (العقل والعاقل والمعقول).

www.ketab.ir

وأمّا المبحث الثالث: فقد تناول دراسة مناط الصدق في القضايا وما هي علاقته مع بحث الوجود الذهنيّ، ومن ثمّ تعرّض إلى دراسة نظريّات مناط الصدق في القضايا، وما هو الخلاف بينها. ثمّ درس ملاك اختلاف القضايا.

وقد جاء الفصل الرابع: ليتكفّل بدراسة المصدر المعرفيّ الشرعيّ واللدنّيّ (الغيبيّ)، وقد تألّف من مباحث ثلاث أيضاً.

أمّا البحث الأول منها: فقد تناول دراسة الوحي والنبوّة. لغة واصطلاحاً، وكيف تحدّث القرآن عنهما. وما هي ضرورة الوحي والحاجة اليه؟ وكيف تكون النبوّة حجّة على الخلق؟ وما هو الفرق بين النبوّة والحسّ والعقل؟ ومن ثمّ تعرّض إلى دراسة المعجزة.

وأمّا المبحث الثاني: تكفّل بدراسة القرآن الكريم، ثمّ عرض إلى دراسة المعارف والعلوم التي جاء بها القرآن الكريم وخصوصاً المعارف الاعتقاديّة المختصّة بالذات الإلهيّة وارسال النبيّين، والإمامة، والمعاد، ومن ثمّ تشريعات القرآن الكريم، وكيفيّة عرض القرآن الكريم للمعارف العلميّة. ثمّ بيّن رأي الباحث من عرض القرآن الكريم للمعارف العلميّة. ثمّ عرض المبحث دراسة تفسير القرآن الكريم وتأويله، وتعرّض إلى التفسير الموضوعيّ للقرآن الكريم وبيّن رأي السيّد الشهيد الصدر﵀ في التفسير الموضوعيّ للقرآن الكريم وأنّه تجديد في المنهج المعرفيّ لإثبات الحقائق العقائديّة وغيرها من خلال التفسير الموضوعيّ للقرآن الكريم.

وكان المبحث الثالث: قد تناول دراسة الكشف والشهود أو العرفان والتصوّف (المعرفة اللدنيّة) إذ بيّن مصطلحاتها. ثمّ تناول دراسة مصدرها المعرفيّ ومنهجها، وما هو موقف العرفان والتصوّف من العقل، ثمّ عقد مقارنة بين المنهج المعرفيّ

www.ketab.ir

للعرفان وبين المنهج المعرفيّ للمدارس الفكريّة في الإسلام وهي (المدرسة المشائيّة والمدرسة الإشراقيّة والمدرسة الكلاميّة، ومدرسة الحكمة المتعالية).

وكان الفصل الأخير وهو الفصل الخامس إذ تعهّد بدراسة مظاهر التجديد في النظام المعرفيّ للفكر الكلاميّ المعاصر عند الإماميّة. وكان هذا الفصل قد اشتمل أيضاً على ثلاثة مباحث.

أمّا المبحث الأوّل: فكان قد درس مظاهر التجديد في النظام المعرفيّ عند الأعلام محمّد تقي فلسفي والسيّد الطباطبائيّ والشيخ مرتضى مطهّري﵀. إذ بيّن نظاماً معرفيّاً جديداً في الاستدلال على يوم القيامة بواسطة المصدر المعرفيّ الحسّيّ، وهذا ما بيّنه الشيخ محمّد تقي فلسفي. ثمّ عرض إلى التجديد في النظام المعرفيّ عند السيّد الطباطبائي في إثبات الحقائق العقائديّة من خلال تفسيره الميزان. وبيّن البحث سبب اختياره الميزان وقد بيّن البحث كيف تسلّح السيّد الطباطبائيّ بالمصادر المعرفيّة من عقل وكشف وشهود ليجلس بين يدي القرآن الكريم فيستنطقه. ثمّ عرض البحث أمثلة تطبيقيّة لمظاهر التجديد عند السيّد الطباطبائيّ، وختم البحث بما جاء به الشيخ مرتضى مطهّري بكيفيّة دراسة الوحي إذ استعان بمنهج معرفيّ عصريّ وهو علم النفس.

وأمّا المبحث الثاني: فقد تناول دراسة التجديد في النظام المعرفي عند السيّد الصدر﵀، حيث درس كيفيّة حصول المعرفة لدى الإنسان وكان حسب رأي أرسطو في الاستقراء المنطقيّ هو توالد المعرفة توالد موضوعيّ ولا يوجد منهج آخر غيره، وعندما جاء السيّد الصدر أثبت بجنب مذهب التوالد الموضوعيّ، هو توالد المعرفة توالداً ذاتيّاً بحسب نظريّة الاحتمال.

www.ketab.ir

وإمّا المبحث الثالث: فكان قد تناول دراسة تطبيقات المذهب المعرفيّ الذاتيّ على مسائل الفكر الكلاميّ المعاصر، وكانت من تطبيقات منهج الدليل الاستقرائيّ الصدريّ هو في إثبات الصانع الحكيم المدبّر، ومن ثمّ تطبيقه على إثبات النبوّة الخاصّة، والإمامة الخاصّة المتمثّلة بإمامة عليّ عليه السلام، ومن ثمّ تطبيقه على إمامة المهديّ (عج) رغم صغر سنّه، وتطبيقه كذلك على إثبات العصمة.

وكان ختام الأطروحة بخاتمة تناول عرض أهمّ النتائج التي توصّلت هذه الأطروحة إلى دراستها والكشف عنها.

وفي الختام أتقدّم بالشكر الجزيل إلى الأُستاذ المشرف وإلى كلّ من أبدى يد العون والمساعدة لي. وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على محمّد وآله الطاهرين.

www.ketab.ir